تمّوز، 2013

الطريق إلى الشفاء:

تخيّل نفسك شابًّا متزوّجًا، وأنك تسكن مع زوجتك وأولادك الثلاثة في بلدة نائية بعيدة عن المُدن في إسرائيل، بل والأمر الأفظع من كل هذا أنكما اكتشفتما قبل عدّة سنوات، بأنّ أحد أبنائكم مصاب بمرض خبيث يستدعي علاجات مكثفة في مستشفى بعيد عن مكان سكناكم، ويتطلب الأمر منكم القدوم إلى المستشفى عدّة مرّات في الأسبوع. أضف إلى ذلك أنّك كزوج عاطل عن العمل منذ زمن، ولا يوجد الكثير من الأموال بحوزتك، ومن المؤكد أنّك لا تملك حتى سيارة.

لا شك أنّ هذه المقدّمة بقراءة أوليّة لا تبعث على الارتياح. كما أنّ الوصف أعلاه يكون أشدّ وأقسى عندما نعلم أنّ الحديث هنا ليس عن عائلة إسرائيلية، إنّما عن عائلة شابة من قرية فلسطينية تبعد كثيرًا عن مدينة نابلس.

في صباح يوم العلاج تتهيأ العائلة للخروج باتجاه المستشفى الإسرائيلي مع الطفل، وعادة ما يسافر الأب والأم معًا. يبدأ الاستعداد والتحضير لرحلة المصاعب والعناء في ساعة مبكرة جدًا من ذلك اليوم، ذلك لأنّ عليهم عبور سلسلة غير هيّنة من الإجراءات. من القرية إلى المدينة القريبة ومن هناك وصولاً إلى أحد حواجز الجيش الإسرائيلي، وهنا عليهم الانتظار مع مئات الرجال الفلسطينيين الذين يعبرون الحاجز للعمل في إسرائيل. ناهيك عن أنّ المعبر، حتى في حالة مراعاتهم أحيانًا للأم والطفل المريض، هو معبر غير بسيط ويتطلب قدرًا كبيرًا من الصبر والانتظار، وبالذات انتظار رحمة الجنود على الحواجز بإتاحة عبور سلس وسريع للطرف الإسرائيلي من الحاجز.

وعند العبور إلى الطرف الإسرائيلي تكون مفاجأة بانتظار بعض العائلات. المفاجأة عبارة عن متطوّع/ة من الجمعية الإسرائيلية "الطريق إلى الشفاء" التي أقيمت قبل سبع سنوات على يد يوفال روط ووضعت هدفًا لها، ألا وهو الاهتمام بنقل العائلات بواسطة متطوّعين إسرائيليين من الحاجز إلى المستشفى من أجل تقديم العلاج للطفل المريض.

الطريق إلى الشفاء هي مثال ممتاز للعطاء الفاعل والناجع لتحسين العلاقات الشخصية بين الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية وبين الإسرائيليين. وهذه الجمعية التي تدار بميزانية منخفضة نسبيًا، تركز بشكل دائم نقل أطفال فلسطينيين مرضى للمستشفيات في إسرائيل من قبل متطوّعين. مجموعة صغيرة نسبيًا من المتطوّعين الدائمين بشكل عام، تحضر في صباح كل يوم وفي ساعات ما بعد الظهر لنقل الأطفال والعائلات من وإلى المستشفيات.

إنّ المشهد الذي يرتسم عادة بين العائلة الفلسطينية وبين السائق/ة الإسرائيلي/ة، يشكل عالمًا مصغرًا لإمكانية بناء علاقة مبنيّة على الاحترام المتبادل والرأفة والعطاء. وحتى لو كان السائق المتطوّع الإسرائيلي لا يتحدث اللغة العربية بطلاقة، فإن هذه البادرة الطيّبة الصغيرة، والتفاعل أثناء السفرة حتى دون كلمات، تصنع العجائب.

تخيّلوا أنّ العائلة الفلسطينية تعود في المساء إلى بيتها في قريتها وتُحدّث عن عناء ذلك اليوم، بل وتتحدث عن "اليهود" الآخرين الذين التقتهم اليوم في الطريق إلى المستشفى. إنسانيون، لطفاء، يتحلون بالصبر وأصلاً ليسوا كما كنّا نظن... وهنا أيضًا تكمن بذرة المساهمة الخاصة بنشاط الجمعية أو مثيلاتها. إنّ تقديم مثل هذه الخدمة المتواضعة، الأساسية والضرورية إلى حدّ كبير بالنسبة للعائلات، في ظل

الضائقة العامة والاقتصادية التي تعاني منها تلك العائلات (البعض منهم يعبرون معبر الحدود مع حوالي 50 شيكل فقط - في جيبهم ليوم كامل)، يمكن أن يزف بشرى عظيمة في أوساط العديدين من جيراننا خلف الجدار، وبهذا يساهم ولو قليلاً في تعزيز العلاقة الإنسانية بين الشعبين. ليس بطريقة التصريحات والمواجهات والسياسة المتّبعة.

حبّذا لو يزداد ويتعاظم نشاط كهذا بطرق مباشرة دون وساطات، وذلك من أجل تقريب القلوب وتقديم المساعدات بالأساس للسكان الفلسطينيين بمختلف المجالات، سواء المقدّمة عبر الجمعية أو غيرها.

في أعقاب تزايد الطلبات، فإن الجمعية بحاجة إلى متطوّعين إضافيين.

للمعنيّين بالانضمام، هاتف الجمعية: 050-9480111

كتب- ألبرت عميت: 054-4200054 albert@yuv.co.il دافيد أفيدان 12
تل أبيب